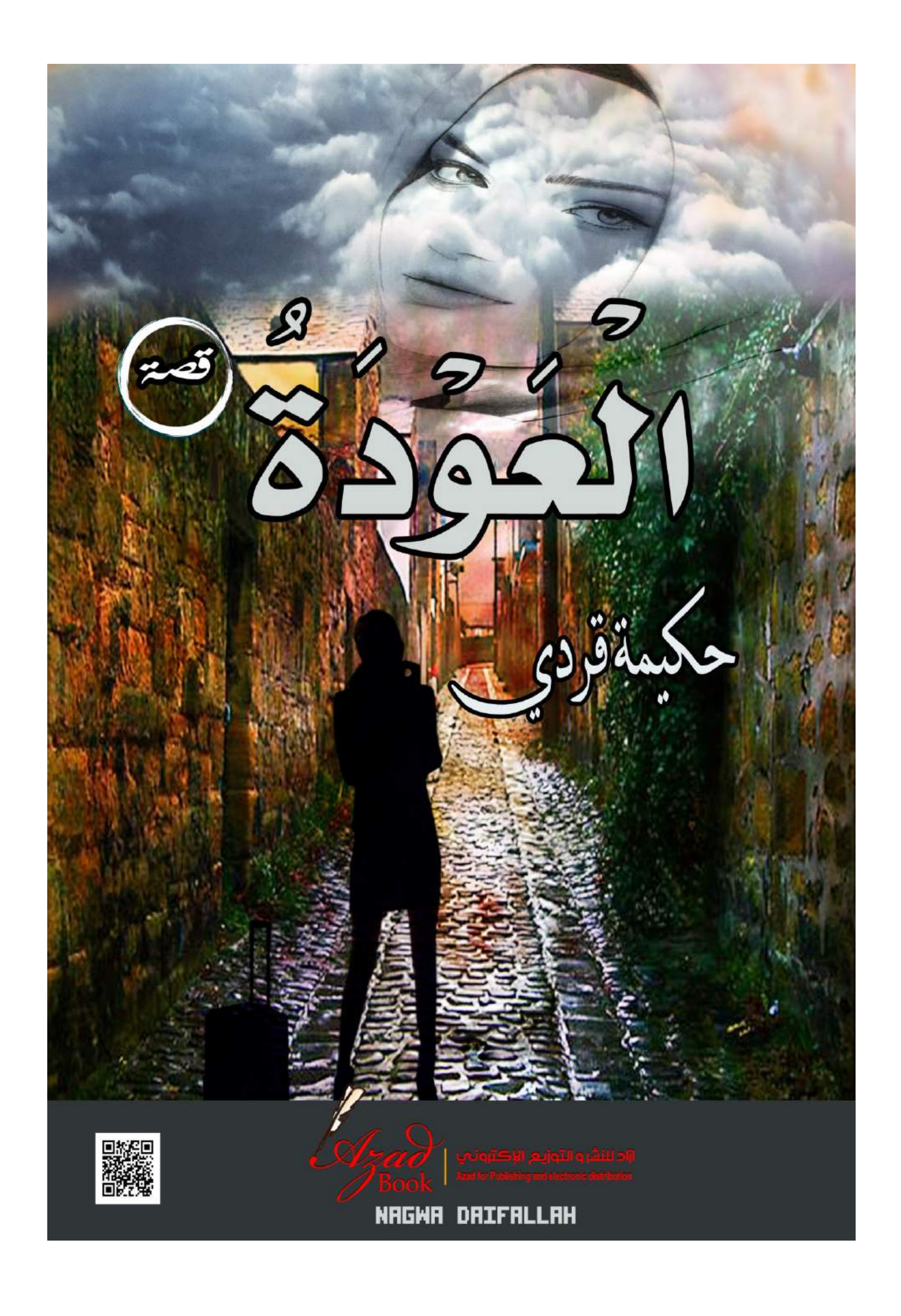

قصة
العَودَةُ
حكيمة قردي
Azad Book
آزاد للنشر و التوزيع الإلكتروني
Azad for Publishing and electronic distribution
NAGWA DAIFALLAH

http://www.azad-book.com/



قصة



بقلم/ حكيمة قردى

2016

*فريق العمل *

كاتبة العمل / حكيمة قردي

المدققة اللغوية / ايمان سيد

تصميم الغلاف الخارجي / نجوى ضيف الله

تنسيق الصفحات الداخلية/ نجوى ضيف الله

إهْـــــــدَاءُ

الى التّائهُونَ فِي الارض اللّهَ .....

اذا اُحْبُكُمْ اللّهَ

سَيُجْعَلُ لَكُمْ سَبِيلَا لِتَعوٌدِ الِيهُ .....

فَلَا تَحْزُنُوا

الفصل الاول

فتحت ليليان عينيها لتنظر للساعة لتجدها السابعة صباحا؛ يمتمت بين شفتيها أنها يريد المزيد من النوم لكن لا تستطيع ذلك؛ فنهضت وهي متذمرة متجهة نحو الحمام لغسل وجهها وتصفيف شعرها ثم قامت بتغيير ملابسها وقد ارتدت فستان قصير يزيد من جمالها فهي فتاة مواكبة للموضة ؛ثم حملت حقيبة اليد ونحيها الذي ستعرضه اليوم في الجامعة ونزلت الادراج متجهة نحو المطبخ ؛فوجدت أمها قد جهزت الإفطار :

ـ صباح الخير أمي .

ـ صباح الخير.

ـ أين أبي ؟أخرج مبكرا للعمل؟ !

ـ إن اليوم لديه اجتماعات وأعمال كثيرة في الشركة لذلك اضطر ليخرج مبكرا.

ـ وأنت يا أمي أليس لديك عمل اليوم؟

ـ لا فهذا يوم إجازتي .

ـ إذن ستقومين بتوصيلي للجامعة إذ لم يمانعي.

ـ لا بأس بذلك لكن دعينا نتناول الفطور أولا.

ـ حاااااضر.



قامت السيدة لمياء بتوصيل ابنها للجامعة وكانت السيدة رغم أن عمرها قد تجاوز الاربعينيات إلا انك إذا رأيتها يراها اصغر بكثير من ذلك السن ولمياء طبيبة جراحة تجدها منشغله بعملها ومتفانية في بيتها ؛وقد استطاعت أن توفق بين حياتها العملية و الزوجية .

وإن ذكاء لمياء ونشاطها مع نصيب من الجمال جعلوا من علي مفتون بها عندما التقيا في الجامعة ؛ فقد كانت تدرس هي الطب بينما هو يدرس البرمجيات ؛ وبعدة مدة من الزمن علم كل منهما إنهما لبعض فقررا إن يتزوجا ؛ولكن للاسف بعد سنة من الزواج علما إنهما لا يستطيعان أن يرزقا بطفل لان لمياء عقيم ،و لان علي لا يستطيع أن يتخلى عن الزوجة التي أحب قرر أن يتبنى طفلا ليملا هذا الفراغ.

كانت السيدة لمياء في المستشفى كعادتها تتدرب وكان هناك يأس يتسلل إلى قلبها أنها لم تستطيع إسعاد زوجها ؛وإذا بامرأة حامل يخاطبها زوجها بقسوة كبيرة ؛فذهبت إليهما لتخفف من حدة هذا التوتر و لكن وجدت أن ذلك الرجل رافض للطفل تماما حتى وان قتله لحد قوله ؛إن وضعه المادي لا يسمح له بالتكفل بهذا الجنين أما المرأة كانت تبكي ولا تدري ماذا تفعل.

رغم محاوله لمياء وسلمى لإقناع ربيع إلا أنه بقي مصرا ومتعصبا لرأيه ؛ولم تجد لمياء حلا آخر لتوقف هذا الجدال والتوتر إلا أن تقول : ـ أنا سأتبنى هذا المولود .

اندهشت سلمى لما سمعت أما ربيع لم يابه لكلامها أو يتأثر،ثم قالت سلمى في دهشة : ـ أنت ؟لماذا؟



ولم يجد لمياء حلا إلا أن يجبرها بقصيها مضيفة لها إيها وضعت طلب التبني في دار الأيتام لكن غيرت رأيها وقررت أن تتبنى هذا المولود ، وقالت وهي يهدئ من روع سلمى : - إن هذا المولود سيكون دايما معك على تواصل مهما كان الثمن وهذا أحسن من أن تيركيه ولا تعلمي أين ذهب وسأعطيك كل المعلومات اللازمة عني إذا كنت تشكين في .

رغم أن سلمى كانت يجد حديث لمياء سيء لان ليس بهذه البساطة تستطيع الام أن تتخلى عن ولدها ، لكن ليس باليد حيله ووجدت انه هو الحل الوحيد الذي سيخفف من ألامها إلى حد ما .

في المساء قامت لمياء بإخبار علي عن ما دار في هذا اليوم ، رغم أنه استنكر الامر في البداية إلا أنه وجد نفسه يوافق عليه بعد إلحاح طويل من لمياء وقولها أيها أحبت هذا المولود رغم انه مازال لم يخرج إلى النور . وفي غمرة هذه الاحداث لم يكن أهل لمياء او علي يعلمون بامر أن لمياء عقم وأيهم سيتبنون طفلا، وبعد وصول الاحداث إلى ما عليه الان قررا زيارة أهلهم لإخبارهم بالموضوع.

وكانت المفاجأة التي صعقت لمياء وعلي أن أهله رفضوا موضوع التبني مدام أن علي يمكنه الزواج مرة يانية ،وانيهى الجدال بطرد علي من المنزل وعدم العودة إلا إذا عدل عن قراره. أما أهل لمياء لم يرفضوا قرار التبني لكن طلبوا من علي الحصول على الصفح من والديه لأيهم لا يريدون أن تكون لمياء سببا في الخلافات بين الاين وعائلته، لكن علي قد قرر أمرا انه لن يتخلى عن زوجته لأيها عقم، حيى وإن كلفه هذا الابتعاد عن أهله .

وبعد مرور أشهر وضعت سلمى مولودها وكانت بنت ولكن كانت مفاجأة بالنسبة لعلي ولمياء عندما طلب ربيع مبلغا من المال مقابل إعطاءهم ابنته ولم يجد علي نفسه إلا خاضعا لاوامر إنسان جشع وطماع يبيع ابنته مقابل بعض النقود .

قامت سلمى بتوديع ابنيها عند لمياء والدموع تنهمر على خديها ولم يجد لمياء غير مواساة سلمى.

وهاهي ثلاث سنوات يمر وليليان بين أحضان لمياء وعلي وكانت السيدة لمياء توفي بوعودها فكانت بين فترة و أخرى يأخذ ليليان لزيارة والديها سلمى .ولكن في هذه الفترة أنشأ علي مع أحد زملائه في لندن بشركة للالكترونيات ولذلك قرر أن يستقر هناك ،وكانت لمياء حزينة لانها لا تستطيع الوفاء بوعدها .فذهبت لمياء لزيارة سلمى يخبرها بالامر ،مضيفة لها أنها في كل إجازة ستعود إلى الديار هي وليليان لزيارتها وأنها لن يخفي عن ليليان حقيقة أن سلمى هي أمها الحقيقية،حزنت سلمى للامر لكنها ابتسمت وقالت : - أنا أثق بك يا لمياء لانك وفية لوعودك .

سافرت العائله الصغيرة إلى لندن لتستقر هناك وكانت لندن مدينة ساحرة وقد كون علي وسلمى علاقات هناك. وهاهي ليليان تكبر وقد تعلمت الانجليزية وأصبحت يجيدها بمهارة وهذا ما جعل بالنسبة لها الدراسة سهله وقد كانت متفوقة فيها ، لذلك استطاعت أن

تدخل إلى أرقى المدارس البريطانية وأصبح لديها الكثير من الإصدقاء ،وقد كانت مع الاوائل في نتائج قبول الجامعة وقد اختارت أن تدرس البرمجيات لما فيها من متعة وقد كانت هذه سنيها الثانية في الجامعة.

في الطريق دار حديث بين السيدة لمياء وابنيها : - ليليان أحقا لم تشتاق إلى والدتك؟

- إني أتحدث معها على الهاتف.

- وهل يكفي الهاتف؟

- لا أدري ، لكن أظنه كاف و أنا لا أريد العودة إلى الديار فلندن أجمل بكثير وأنا أحسن هنا.

- أعلم ،أعلم لكن قد مرت عشر سنوات على آخر زيارة لوالدتك ، وقد تظنني أنا السبب.

- لا تخاف، أخبريها أنك لست وراء هذا.

- إذن ؟ !

- أنت يا أمي تعلمين السبب لكن لا ادري لماذا تصرين ؟

ـ حتى و أن كان والدك رفض وجودك، لكن أمك يريد.

ـ لا أريد أن أتسبب لها ولي بالمشاكل.

ـ عديتي يا ليليان هذه المرة أنك في العطله ستذهبين لزيارتها وإلا سيكون لنا حديث آخر.

ـ آه أمي، لماذا تضخمين الامر؟

ـ بل أنت حقا لا تدرين مقدار حزن أمك على تصرفاتك، لكن لا تستطيع أن تقول إنها غاضبة منك حتى لا تبتعدي عنها أكثر.

اندهشت ليليان لسماع هذا الكلام وقالت في نفسها "هل أنا حقا مذنبة لعدم ذهابي؟"، توقفت السيارة عند الموقف الخاص بها بالجامعة لتنزل ليليان متعبة بعض الشيء لما سمعت من أمها من كلمات عتاب، ودعت أمها وذهبت تمشي متباطئة الخطوات لتحاول أن تعرف ما الأصح لتفعله، لكن ما إن وصلت إلى المدرج وجلست حتى قررت شيء في نفسها ، ثم قامت بعد ذلك لتلقي بحثها على الطلاب وقد كانت متألقة بجمالها وبالمعلومات التي قدمتها، وقد كانت الفتيات يحسدنها على ذلك فهي تأسر قلوب الكثير من الشباب.

بعد الانهاء من المحاضرة خرجت والإصدقاء يتسامرون عن ماذا يفعلون في العطله وتعددت أراءهم وتعالت صحكاتهم، فهناك من سيمضيها في البيت وهناك من سيسافر وغير ذلك، ثم افترق الجميع ،و ظلت ليليان وجولي فقط وكانت جولي أعز صديقات ليليان ورأت أنها متعبة بعض فقالت : ـ هل أتعبك البحث الذي قمت به؟ ابتسمت وقالت :- متى كانت الدراسة تتعبني.

ـ إذن ما بك ؟

ـ في الحقيقة تحدثت أمي معي بشأن زيارتي لاهلي في هذه العطله، وعلى ما يبدوا سأستسلم لطلبها.

ـ لا عيب في المحاوله، بالمناسبة ستجدين الجميع قد تغير.

ـ آه أنا خائفة من هذا الإمر أيضا.

ـ لا تخاف فأنا أجد الإمر ممتعا إلى حد كبير.

ـ سنفترق الان وسنبقى على اتصال.

ـ إذن، إلى اللقاء.

ـ إلى اللقاء.

ركبت ليليان الباص لتعود إلى البيت، فلم يجد أمها ولا أبوها في البيت وعلمت أبهما سيتأخران الليله في العودة ، فذهبت للمطبخ لإعداد العشاء لهما. حضرت مائدة العشاء وإذا بالباب يفتح، إنه السيد علي.أسرعت بحوه لتعانقه:

ـ أهلا بابا....لم أرك منذ البارحة.

ـ آه إنه يوم حقا متعب.

ـ سيزول التعب بتناولك العشاء الذي أعددت.

ضحك وقال: إذن هو السحر.

ـ هو بالضبط. سأتصل بامي لاعلم ميى ستصل فاليوم كان يوم إجازيها لكن يبدو أن أمرا طارئ حصل في المستشفى.

لم تكمل ليليان حديها وإذا بوالديها تفتح الباب، فضحكت ليليان وقالت: اجتمعت العائله. وبعد تناول العشاء جلسوا يتسامرون ثم قالت لمياء: ـ ماذا قررت يا ليليان بشأن موضوعنا؟

قاطع على حديثهما: ـ أي موضوع؟

أجابته ليليان: ـ قررت أن أزور أمي في هذه الإجازة. فما رأيك يا أبي ؟

ـ أبا لا أمانع لان لامك عليك حق، لكن إذا أحسست باي ضيق أو إزعاج عودي فورا.

ففرحت لمياء لقرار ابنيها فقالت: ـ هكذا هي ابنتي البطله.

في اليوم الاول للإجازة حزمت ليليان حقيبة سفرها واتجهت نحو المطار بعد توديعها لوالديها وكانت متوترة من الرحله ومن المجهول الذي ينتظرها هناك، وقد طلبت من والديها بان لا يخبر السيدة سلمى عن زيارتها لها بل ستتركها لها مفاجأة.

الفصل الثاني

تحت سقف لبيت متواضع كانت تسكن عائله ربيع وسلمى، وهاهي السنين تمر على ذلك البيت الذي حاولت سلمى جاهدة أن يبقى قائما رغم خلافايها المستمرة مع زوجها، وكان تحملها لعصبية ربيع وغضبه وإهماله الذي لا يطاق هو أطفالها الثلاثة: مصطفى، سامر وميس، التي عملت بكل ما تحمله من قوة على أن لا يمسهم جهل أو فقر، وقد غرست فيهم أخلاق الدين الإسلامي و قيمه، وكل هذا كان في غياب ربيع الذي لا يبالي بأحد فقط بالنقود، فهو ذلك الجشع الذي باع ابنته يوم ولاديها مقابل بعض الملايين من الدينارات، وقد نجحت سلمى في بلوغ هدفها، فمصطفى وسامر قد تخرجا من الجامعة، فمصطفى الابن الاكبر طبيب في مستشفى المدينة، وأما سامر أستاذ في الثانوية، وميس في سنيها النهائية في كلية الصحافة. وقد أصبح مستواهم المادي أحسن من ذي قبل، إلا أنهم لم يسلموا من السيد ربيع ونفسه الطماعة التي دائما تطلب المزيد من المال، فما أدى هذا إلى توتر العلاقة الاسرية فما بينهم. وفي غمرة كل هاته الاحداث نجد السيدة سلمى تارة سعيدة لرؤيتها أبناءها وقد تخطوا عتبة الجهل والفقر، وتارة حزينة لتذكرها ابنتها ليليان وكيف سمحت لضعفها أن يجعلها تتخلى عنها وهل يمكن لليليان أن تسامحها؟.

لا يعلم الابناء الثلاثة بامر ليليان فهم لم روها ولا مرة، ففي السنوات التي مضت كانت تلتقي بها سلمى خارج المنزل وذلك لعدم قبولها من طرف ربيع في منزله وكان ينعيها بالغريبة، وأما الان فهي معها على تواصل عبر الهاتف ولكن ليس بالشيء اللافت للانتباه، ولم تشأ السيدة سلمى بان يخبر أبناءها لانها قد مرت عيير سنين على آخر لقاء لها مع ابنيها، فهي أيقنت في نفسها أن ليليان لن تعود هنا مجددا.

****

حوالي منتصف النهار عندما دقت ليليان على باب المنزل ، كانت يرتدي سروال من الجينز وصدرية ربيعية وقد قامت بتمشيط شعرها بطريقة تتناسب و ملابسها، وكانت يحمل حقيبة يد وحقيبة سفر صغيرة. قامت ميس بفتح الباب، ألقت ليليان التحية ثم قالت: "السيدة سلمى هنا؟" قالت ميس: " أنا ابنتها اسألي ما شئت"، ابتسمت ليليان وقالت: " أود التحدث معها في أمر خاص "، لم تعطي ميس للموضوع أي اهتمام، فقط طلبت من ليليان الانتظار ودخلت لتخبر والديها، عادت ميس مع السيدة سلمى، وبدأت سلمى تنظر بالتمعن في ليليان لتحاول أن تعرف من تكون هاته الفتاة، قاطع تركيزها كلمات ليليان :" يقولون أن الام تشم رائحة ابنها على بعد أمتار" وهنا لم تستطع سلمى التحرك فقط تبكي بحرقة و تقول ليليان ابنتي أقسم بالله أني اشتقت إليك، ولم تستطع ليليان أن

يمنع نفسها من البكاء، كانت يحضن أمها وتعتذر وتقول :"سامحيني أمي، سامحيني أمي..."، لم تفهم ميس ما الذي يجري من حولها، ففورا قامت بالاتصال بإخويها وأخبريهم ما حدث، ما هي إلا نصف ساعة حتى حضروا، لم يستوعبوا شيئا فأخبريهم ميس أن أمها صارت تبكي منذ أن يحدثت مع هاته الفتاة التي تناديها بامي، وأنها لم تستطع أن يحصل على جواب من والديها على ما يحدث الان. تقدم السامر ومصطفى ويهدئونها وقد نجحا في الامر ثم طلبا منها تبرير ما يحصل وكانت عيونهم جميعا متجهة نحو ليليان متسائلين من تكون. لم يبقى أمام السيدة سلمى سوى أن يخبر أبناءها بالحقيقة، وبدأت يروي القصة وأصبحت وجوه أبناءها مسرحا متعدد للمشاعر: دهشة، حزن، ألم، حسرة، غضب وكان ستاره الدموع. وفي تلك الاثناء دخل ربيع المنزل ووجد الجميع مجتمع، طلب منهم تفسير هذا الاجتماع لكن ما إن وجد ليليان جالسة بينهم حتى فهم الموضوع وبدأ بالصراخ عليهم وهو يقول:" من سمح لهذه الغريبة بالدخول إلى هنا" ثم سحب ليليان من يديها نحو الخارج ورغم محاوله مصطفى وسامر لمنعه لكن لم يستطيعا، وأخبرها بان لا مكان لها في هذا البيت ولا يريد رؤيتها هنا مرة أخرى، وأغلق الباب عليها. لم تتعرض ليليان في حياتها لموقف مثل هذا، فبدأت بالبكاء لانها لا تعرف ما الذي سيحل لها فما بعد، فلا توجد رحلات إلى اليابان اليوم ولا في الغد، لكنها تذكرت واتصلت بوالداها لتخبرهم بما حدث، لعلهما يساعدها ليدلوها على أحد أقاربهم، لتبيت عندهم الليله. حاولت السيدة لمياء الاتصال

ببيت أهلها لكن على ما يبدو لا يوجد أحد في المنزل، ولم يبقى حل سوى الاتصال ببيت أبو علي.

علي الذي لم يرى أهله منذ ذلك الشجار الذي حدث، لم يتصل ولو مرة بأهله لانه كان متيقنا من أنهم أخطئوا في حقه، وقد اتصل ليطلب مساعدتهم لإنه يعلم أنه لا توجد فنادق تسمح باستقبال فتيات دون مرافق. بحث علي في دفتر الهاتف عن الرقم الخاص بمنزل أهله، ووجده يعمل يبدوا أنهم مازالوا محتفظين بنفس الرقم رغم مرور السنين.

في بيت أبو برار رنّ هاتف المنزل ليرفع الحاجة صالحة أم علي السماعة لتسمع صوت لم يفارق قلبها ولا لثانية، صوت ابنها علي الذي ابتعد عنها أكثر من عشرين سنة، يقول لها: هل هنا بيت السيد أبو برار؟، لتجيب بلهفة يروي شوقها لسماع أخبار ابنها الغائب: علي هذا صوتك، وأخيرا اشتقت لنا، لو تعرف كم نحن مشتاقون لرؤيتك، لو تعلم، قاطع علي كلامها وفرحها عندما أخبرها أنه اتصل فقط ليطلب منهم أن يستضيفوا ابنته ليليان في البيت بعدما أخبرها بما جرى إذا كان هذا لا يضايقهم وإنه لن ينسى معروفهم هذا.

وافقت السيدة صالحة فورا على طلبه لإرضائه و طمأنته بإنها ستكون بخير، شكر علي أمه وأنهى الاتصال معللا ذلك بإشغاله المتراكمة والتي لا يمكن بإجيلها. رأت السيدة صالحة

أن استقبالهم لليليان سيكون بادرة خير، وكما كانت سببا في قطع علاقته بأهله، ستكون سببا في إصلاحها، لكن عليها أولا إقناع زوجها الحاج إبراهيم.

كان الحاج إبراهيم يقرأ آيات بينات من كتاب الله عندما دخلت عليه زوجته والفرحة تعلو وجهها، أخبرته القصة وطلبت منه أن يذهب ليحضر ليليان إلى البيت، غضب الحاج ليس من زوجته، بل من علي الذي لم يستطع يوما أن يتغاضى عن بعض الكبرياء ويتصل ليسأل عن أهله، لكنه بسهوله تذكر أن لديه أهل عندما أصبح الامر يتعلق بابنته. رفض الحاج إبراهيم الامر في البداية رفضا قطعيا، لكنه عدل عن قراره بعد محاوله زوجته لإقناعه، فهو يدرك أن لا دخل لليليان في ما حدث، ولا يزر وازرة وزر أخرى. أخذ الحاج إبراهيم العنوان من زوجته وذهب ليحضر ليليان، قامت الحاجة صالحة بالاتصال بعلي لتطمئنه بان أبوه انطلق ليحضرها.

ومن هنا يبدأ فصل جديد من حكايتنا ولنيرك ليليان يروي ما حدث لها وما الذي تغير في حياتها.

الفصل الثالث

كنت خارج المنزل بعدما طردني والدي والذي رفض بقائي في منزله انتظر جدي أبو علي الذي لا اعرفه أساسا ليأخذني إلى منزله بعدما اتصل بي والدي علي واخبرني بذلك، كان أخي مصطفى معي كذلك فهو لم يشأ أن يتركني وحيدة، وهاهي ألان السيارة تقترب لتتوقف أمامنا مباشرة ليترل منها رجل كهل في الستينيات من عمره ألقى علينا التحية بمصطلح لم أسمعه من قبل حيث قال"السلام عليكم" فرد عليه مصطفى قائلا"السلام عليكم والرحمة"، ثم قال بعد أن نظر إلي نظرة فاحصة "إذن أنت هي ليليان" فأجبت والخوف يتملكني"نعم، أنا ليليان بنت السيد علي" فسادِ الصمت بيننا برهة ليأمرني بعدها بالصعود معه إلى السيارة، قمت بتوديع أخي وأخبرته بان لا يقلق علي وانطلقت السيارة نحو المجهول الذي ينتظرني. كان الصمت مخيما على السيارة إلا أنني أردت كسر الحاجز فقلت لجدي"شكرا، جدي لن أنسى لك هذا المعروف" لكن يبدو أنني كنت أتحدث مع جدار أو صخرة فهو لم يعلق على كلامي ولا بكلمة، فأصبح الخوف يتملكني منه أكبر وأكبر وإذا بالسيارة تتوقف أمام منزل، لا ليس منزلا بل قصرا. نزل جدي لكنه طلب مني البقاء في السيارة إلى أن يعود، كنت قلقة حيال الامر فأنا لا أدري ما الذي يريده مني بالضبط لكنه لم يطل الغياب وكانت ترافقه امرأة كبيرة علمت من مظهرها أنها جدتي وكانت تحمل بين يديها أغراض، نزلت من السيارة وقمت بالتسلم عليها ووجدت في قسمات وجهها ما يدعوني للراحة، لكن الغريب في الامر أنها طلبت مني ارتداء ما أسمته لي بالحجاب مبررة ذلك بان هناك أبناء عمي والذين لا يحق لي أن أكون بينهم دون حجاب، ارتديت ذلك الذي يدعى الحجاب، لكن ما شغل تفكيري هو ما المغزى من ارتداء الحجاب؟، المهم دخلنا

إلى المنزل وتوجهنا إلى الصاله حيث الجميع جالس، تقدمت جدتي لتعرفني بعمتي نزار وزوجته سامية وبناته حنين و باسمة وأبنائه نوار، وسيم، والثالث اسمه غريب وهو ليس هنا الان بسبب عمله. غلبت على لقاءنا الرسمية حيث تبادلنا فما بيننا فقط كلمة" تشرفنا"، لكن حنين قامت بإمساك يدي وأخذتني إلى غرفيها لكي أرتاح وتبعتها كذلك باسمة وهنا الجليد الذي كان يفصل بيننا بدأ بالذوبان وتبادلنا أطراف الحديث حيث علمت أن

حنين في نفس سني وهي تدرس أدب عربي وأما باسمه فهي الاصغر وتدرس في القسم النهائي في المرحله الثانوية، وبينما نتحدث ارتفع صوت حتى أنني فزعت كان يقول :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمد رسول الله، أشهد أن محمد رسول الله

حي على الصلاة، حي على الصلاة

حي على الفلاح، حي على الفلاح

الله أكبر الله أكبر

لا إله إلا الله

لكن حنين قالت" آه، لم ننتبه للوقت حتى أدركتنا صلاة المغرب، باسمة، ليليان هيا قوما للصلاة فالمغرب وقته ضيق". قامت باسمة أما أنا فقلت لها مستعجبة" عن أي صلاة تتحدثين !" وهنا رأيت الاستغراب والدهشة تعلوا وجها حنين و باسمة، ونطقتا في وقت واحد بالجمله نفسها" أأنت مسلمة؟"، قلت" أكيد، أهناك مشكله؟" تفاجئت حنين من

جوابي وأعادت طرح السؤال بصيغة أخرى "ما شيء الذي يميزك أنك مسلمة بالنسبة لديانات الاخرى؟" وهنا كادت أن يجن هي وباسمة عندما أجبتهما كما يلي" مسلمة مكتوبة على بطاقة هويتي" ، لم أكن أفهم عن ماذا يتحدثون فأنا انتقلت إلى اليابان وعمري ثلاث سنوات لم أتعلم العربية أجيد فقط التحدث بها بالعامية لا عربية فصحة ولا أجيد

كتابتها ولم ندرس الديانات أو شيءٍ من هذا القبيل وأنا لم أكن من المهتمين، حتى في البيت لم نتداول هاته الامور. بادت حنين جدتي وأخبرتها بما جرى فأصبحت تقول " حسبي الله ونعم الوكيل يا علي ويا لمياء، هكذا تفعل الدنيا مع أصحابها تغريهم بالمال

والمظاهر وتنسيهم في الاخرة ولقاء الرحمان، يا حسرتي كيف سأقابل الله ولدي ابني ضال " والدموع قد كست وجهها ثم أمسكتني وقالت" لا تغرنك المظاهر يا أبنتي فالدنيا فانية

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" ثم طلبت من حنين وباسمة الذهاب لأداء الصلاة بينما هي ستجلس وتحدثني بما يجب أن أفعل.

بدأت بتنفيذ أوامر جدتي، أولا اغتسلت بنية الصلاة كما علمتني، ثم قامت بتعليمي كيفية الوضوء والصلاة وأيضا علمتني أربعة سور من القرآن لتتم بهم هذه الأخيرة: سورة الفاتحة، سورة الإخلاص، سورة الفلق وسورة الناس. وقمت بعدها بأداء صلاة المغرب، في البداية

كنت فقط أنفذ الأوامر لأتمكن من مدارات أهل البيت لكن فجأة بدأ شعور غريب يتسلل إلى قلبي أنساني معاناة هذا اليوم، كان هذا الشعور يشابه شعور الطائر المسجون الذي يفتح له باب القفص للخروج من العبودية إلى الحرية، ألم أكن متحررة؟ !.....حقا

إنه شعور غريب، المهم أنه يجعلني أشعر بالراحة. طلبت مني جدتي أن أرتدي حجابي وأنزل معها لتناول العشاء، اجتمعنا جميعا على الطاوله، لفت انتباهي أن هناك كرسي فارغ، آه تذكرت إنه كرسي غريب يبدوا أنه سيأتي ليتعشى معنا. وقد صدق ظني فقد دخل علينا

شاب، لا تبدو على وجهه أي سمات للجدية، يبدو أنه من النوع المرح، فرحت في نفسي لانه سيكون الشخص الذي سيكسر تلك الحواجز التي تسيطر على الموقف، أولا ألقى علينا التحية بقوله: السلام عليكم وقام الجميع بالرد عليه، وقمت أنا بدوري بالرد التحية إتباعا لهم، كنت أراقب بحركاته عن كثب حيث قام بتقبيل يد جدي وجدتي وأيضا والده ووالدته وعاد إلى كرسيه وجلس وفاجأني عندما قال :"كيف حالك ليليان؟ يسرنا كثيرا وجودك معنا " ارتسمت الحيرة على وجهي وبدا الامر واضح حيى بدأت حنين بالضحك وهي تقول: " ليليان لا تخافي، غريب ليس منجما بل أنا التي أخبرته عنك على الهاتف" ، زال تويري وأجبته بانني بخير وشكرته على لطفه، لكنه عاد وسألني مرة ثانية : "هل أنت يرتدي الحجاب؟" انبرح صدري لهذا السؤال لانني ظننت أن غريب لا يحب الشكليات وسيوافقني الرأي عندما أخبره أنني لا أرتديه، لكن جدتي قاطعتني وأخبرته العكس، فصعقني جوابه الذي لم يكن في الحسبان حين تحدث مع جدي وقال له: "أرأيت يا جدي كنت دائم الخوف على عمي علي، أن ينسى دينه عندما هاجر إلى الغربة والآن أنت يرى الإجابة على أسئلتك أمامك في ابنته التي قام بتربيتها على أكمل وجه حيث أنها لم تغرها المظاهر ولا رفاهية العيش عن الابتعاد عن دينها الحنيف"، علق جدي على حديث غريب بكلمتين فقط" نعم، صدقت" وعاد إلى صمته، يبدو أن اسم علي غير محبب في مجالس حديث جدي، أو أنه بهاته التعليقات يسخر من غريب الذي لا يعلم حقيقتي، حقيقة أنني اليوم فقط أول مرة أرتدي فيها الحجاب و أؤدي فريضة الصلاة.

قد سد هذا الحديث شهيتي، كنت فقط أتظاهر بالاكل منتظرة نهاية هذه المأدبة التي على ما يبدو كانت على شرفي، وأخيرا انهينا، انصرف نوار ووسيم خارج البيت أما غريب فذهب إلى غرفته ليرتاح، جدي وعمي اتجها نحو المكتب يبدو أن لديهما أشغال، أما نحن

تجمعنا الاطباق لنقوم بجلها، في بداية الامر لم يتركوني أساعدهم بل أمروني بالذهاب للغرفة لارتياح لكن بعد إلحاح تمكنت من مساعديهم، بعد انهاءنا ارتفع صوت أذان صلاة العشاء فذهبت معهم لادائه، وبعدها ذهبنا إلى الصاله لنتسامر.

ظننت في بداية الامر أن هاته العائله مجردة من الاحاسيس فقط يؤمنون بالرسمية، فهم لم يسألوني منذ وصولي عن أمي وأبي،أو كيف هي حياتنا لكن اكتشفت في الاخير أنهم كانوا يريدون راحتي وأن لا يثقلوا معي بالحديث، حتى جدي الذي كنت أظنه رجل صارم ولا يحب الحديث شاركنا السمر مع عمي برار وسألني إذ كنت مرتاحة في البيت وطلب مني أن أتصل باهلي ليطمئنوا علي فأخبرته أني قد فعلت، بدأت نفسيتي ترد عافيتها بعد أن تبادلنا أطراف الحديث وأدركت أنهم كم مشتاقين لرؤية أبي علي لكن يبدوا من حديثهم أن الخطأ خطأ والدي، لو عاد واعتذر لرسمت حكاية أخرى لكنه القدر ويجب الإيمان به، وهنا طلب مني جدي تلبية أمر وحيد وسيعتبرني ابنته لا حفيدته وهو أن ألترم بتعالم الدين الإسلامي وقد فاجأته وفاجأت نفسي عندما نطقت بهاته العبارة التي لا أدري من أين كان منبعها " لا يخاف جدي، فنحن لهدى الله يابعون " أكان العقل أم القلب، أم هي روحي المنكسرة التي تبحث عن الخلاص، سعد جدي لسماعه هذا الكلام وابتسمت أنا لابادله ذلك الشعور.

أويت إلى فراشي لنوم...... الجميع نائمون، أما أنا لا مكان للنوم في رأسي، فقط أعدت تشغيل أحداث اليوم.....إن عقلي لا يستطيع استيعابها.....إنها أحداث ما يقارب السنة وقد اجتمعت في رأسي في يوم واحد.....العائله....الدين، الترام.... كلام ابن عمي غريب على مائدة العشاء.....وخاصة ذلك الوعد الذي قطعته لجدي. وهنا بدأت أسال نفسي هل ما



كنت أعيشه في اليابان مع أهلي حقيقة زائفة؟ ما إن سألت نفسي ذلك السؤال حتى بدأت الدموع بالبروز، لم استطع مقاوميها وبت وأنا غارقة في بحر دموعي.

استيقظت على صوت حنين تقول" ليليان، قومي هذا وقت صلاة الفجر " قمت معها للصلاة، كان الجميع مستيقظ، بعد الصلاة أعطتني باسمة مصحفا لاقرأ القرآن، لكنني أخبرتها أنني لا أجيد القراءة، فطلبت منها أن أستمع لها وهي ترتل، وأن أستوقفها في كل آية لم أفهم معناها، ومن مطلع ذلك الفجر بدأت رحلتي مع القرآن وفهم معانيه وأيقنت أن القرآن معجزة إلهية يحوي الإجابة عن جميع الاسئله التي تدور في راسك مع حجج وبراهين داحضة للباطل، وأدركت أن بصيرتي كانت مخدوعة حيث اختارت طريقا قد صنعه بشر حاقدون على الدس الإسلامي.

في الصباح طلبت من حنين أن تعيرني حجابا حتى أتمكن من الذهاب معها للجامعة فأنا أريد أن استكشف معالم المدينة وفي نفس الوقت ابحث عن أجوبة لبعض من أسئلتي، فلبت طلبي وانطلقت في رحلتي بعدما اتصلت بأمي سلمى وأخبرتها بأني بخير وأنني لا يمكنني الالتقاء بها اليوم، ركبنا الباص المتوجه إلى الجامعة وفي الطريق كنت أراقب كل شيء من حولي، لم تكن لا الموصلات، لا البنايات ولا معالم المدينة تضاهي نظيرتها في لندن ، لكن هناك شيء لا تفتقده لندن بل شعبها وهو أن الناس هنا كالجسد الواحد، بدأت ألاحظ ذلك من معامليهم لبعض، فلا تطغوا الرسمية على معاملايهم كما في لندن، وأيضا هناك بعض السلوكيات التي تبدوا تافهة إلا أنها قد يزرع في قلبك الفرح والحب مثل الابتسامة وإلقاء السلام التي في لندن تقتصر مثل هاته السلوكيات فقط على المعارف والاصدقاء أما هنا فلا يهم من أنت المهم أنك أخي في الإسلام وبدأت أعجب بالمدينة وأهلها.

وصلنا للجامعة، عرفتني حنس برميلايها وتبادلنا الحديث، وهناك وقع نظري على أختي ميس، سعدت كثيرا لذلك فأنا كنت متشوقة للحديث معها لولا فظاظة أبي معي، فاستأذنت حنس والفتيات وذهبت إليها، كانت سعيدة لرؤيتي حتى أن الدموع صاحبتها في التعبير عن ذلك، واستطعنا أخيرا أن نتحدث لكن أختي لفت انتباهها أمر الحجاب الذي لم أكن أرتديه البارحة وقمت بإخبارها عن ما الذي حدث معي بعد خروجي من المنزل لكن أخبرتها أن الفكرة بدأت تروق لي، كانت ميس تحدق في بعينيها واسعتين عندما أخبرتها أنني لم أكن أعرف مسبقا شيئا عن الإسلام، لكن حمدت الله كثيرا من أجل انجذابي الطريق الصحيح في النهاية. أخبرت ميس قبل أن نفترق أنني كم سعيدة بوجودها وإخوتي وأمي حولي.

قبل عودتنا إلى المنزل مررنا بالسوق لانني كنت أريد شراء ملابس خاصة بالمحجبات.... يبدو أنني اقتنعت أخيرا بالفكرة بشكل تام.....نعم، فأنا رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ومحمدا نبيا رسولا.

في المساء اجتمعنا جميعا حول مائدة العشاء، لكن اليوم مختلف كنا نتبادل أطراف الحديث ونتشارك الافكار والاراء.... آه كم أنا سعيدة لانهم يعتبرونني فردا من عائليهم.. وأخيرا سيتمكن أبي علي من العودة لهذا المنزل..... ويا ليتني أنا أيضا يمكنني العودة لمنزلي الحقيقي دون معاناة. عندما أويت للفراش لانام كان قلبي ووجداني، عقلي وأفكاري يدعون رب العباد أن يحل مشاكلي مع أبي قبل أن أعود إلى لندن

في الصباح، اتصل بي أخي مصطفى وطلب مني أن استعد لانه سيأتي لاصطحابي للمنزل.....يبدوا أن هناك أمرا قد حصل.... المهم، طلبت الإذن من جدي، وغادرت مع



مصطفى عندما أبي. حاولت الاستفسار من مصطفى عن هذه الزيارة لكنه طلب مني عدم استباق الاحداث ولا داعي للخوف. استقبلتني أمي بعناق حار.....آه أمي كم كنت أبانية اتجاهك كم أعمى منك أنك تسامحيني..... وأخذتني للصاله، لكن الغريب أن هناك مع أخي سامر وأختي ميس، عجوز طاعن في السن....رجال.....نسوة.....وأبي !!!، أصبت بالذعر ما إن وقع بصري على والدي. تقدم مصطفى وقال" جدي، أعمامي، أخوالي، هذه أختي

ليليان من لحمنا ودمنا لكن لظروفنا القاسية في السابق، قام أبي وللاسف ببيعها لعائله محرومة من نعمة الاطفال وطلب من أمي تحت اليهديد أن يخبركم أن طفليها ماتت بعد الولادة، لكن أمي بقت على اتصال مع ليليان في السر، واليوم لما أختي ليليان قررت زيارتنا طردها أبي وأنكر الامر خوفا من الفضيحة، لكن من هذه اللحظة وأنتم الشاهدين، أختي ليليان يمكنها العيش معنا وقت ما شاءت، وسنقيم مأدبة على شرفها، ليعلم الجميع أن لدينا أخت غائبة عنا". كان الجميع ينظرون إلى أبي، ينتظرون منه تبرير لما فعل، وقد

زالت كل مخاوفي عندما رأيت والدي عاجزا عن الكلام، أي أنه لن يستطيع معارضة قرار أخي مصطفى والعائله.....كم أنا سعيدة... الحمد والشكر لك يا ربي لانك حققت أمنيتي

في المساء امتلئ بيتنا بالمعزومين للمأدبة العشاء وكان أيضا جدي أبو برار وعمي من بينهم، حيث قام مصطفى بدعويهم، في ذلك المساء لم تفارقني أمي ولا لحظة، كانت ممسكة بيدي وابتسامة عريضة مرسومة على شفتها وتقدمني لاقاربنا.... أصبح لدي الكثير من الاقارب كم أنا محظوظة، عكس ما كنت عليه في لندن... طلبت مني أمي المبيت عندها ووافقت، فأنا لا أريد أن أرى أمي حزينة بعد اليوم. كانت تلك الليله ليست كغيرها من الليالي

فبرغم من أن عمري عيشرين سنة إلا أنني نمت في أحضان أمي كالرضيع الذي لا يستطيع فراق والدته.

مر أسبوع وأنا أتنقل بين بيت أهلي وبيت جدي وكانت كل الامور تسير بخير بإرادة الله، وحان موعد عودتي إلى اليابان، كانت أمي أكثر الناس حزنا لانني سأفارقها لكنني طمأنتها بانني سأعود في الإجازة القادمة. قمت بتوديع الجميع وقام أخي مصطفى بتوصيلي هو ووالدتي إلى المطار، وكانت المفاجئة التي تنتظرني أن جدي وغريب كانا بانتظاري يريدا توديعي من المطار، و أهداني غريب مجموعة من الكتب لاتعلم اللغة العربية، فشكرته على ذلك، وطلب مني جدي أن أظل ثابتة على مبادئي ووعدته بذلك. شاركتني دموعي لحظة وداعهم فأنا لم أكن أود فراقهم.

أقلعت الطائرة وبدأ معها فصل جديد من حكايتي

الفصل الرابع

صعدت إلى الطائرة وجلست في مقعدي، بدأت أقلب أوراق الكتب التي قدمها لي غريب، كانت بالنسبة لي كالاحجية التي كتبت بالهيروغليفية لانني لا أجيد قراءة اللغة العربية، وما شغلني عن هذه الاخيرة هو شوقي لامي وأبي وصديقتي جولي وما أريد أن أروي لهم ما حدث معي من مغامرات.

وصلت إلى اليابان في الصباح الباكر ولم أشأ أن أزعج أبي لاستقبالي فقمت باستئجار سيارة أوصلتني إلى البيت، قمت بقرع الباب لكن لا احد يستجيب، يبدوا أن كلا من أمي وأبي لديهما عملا جعلهما ينصرفا باكرا، وبما أنني لا أملك مفتاح للبيت، توجهت إلى المستشفى حيث تعمل أمي، منذ أن استقلت الباص حتى وصولي ودخولي للمشفى والجميع يحدقون بي، استنكرت الامر في البداية لكن تنبهت أنني هاته المرة أختلف عنهم لانني محجبة وهناك تساءلت ماذا ستكون ردة فعل أمي لرؤيتي أرتدي الحجاب.

صعدت إلى الطابق المتخصص بالجراحة، بحثت عن أمي ووجدتها في إحدى غرف المرضى، تسللت اليها من الخلف وقمت بحجب الرؤية عنها بيدي فأصبحت تقول: من..... من؟ وأنا كنت أضحك بخفية حتى لا تكتشف أمري، ثم قالت: آه.... هذه أنت ليليان قد عدتي، وهنا سحبت يدي وأقبلت أحضنها وأقبلها، وأخبرها أنني اشتقت اليها ووالدي، وهيا تقول لي: أيها الشقية المنزل من دونك يكسوه الملل ليسود الصمت برهة وتتبدل ملامح الحنان بنقيضها الجدية وتقول أمي: ما هذا؟ لاجيب ببساطة إنه حجاب، فزادت نبرة صوتها حدة قائلة: أعلم أنه حجاب، لست بلهاء، لكن لما ترتدينه؟ فقلت: أرتديه لانني

مسلمة، وهنا كادت أمي أن تصرخ لكنها راجعت وأمرتني أمر القائد إلى جنوده أن أعود إلى المنزل وأن لا أغادره حتى تعود ونناقش الامر.

صدمتني الطريقة التي عاملتني بها أمي، فهذه أول مرة أرى وجها ثانيا لامي، فما كان علي إلا الامتثال لاوامرها والعودة إلى البيت، وأثناء عودتي كان عقلي فقط مشغول بما ستفعله أمي بي وأيضا إذا كانت ردة فعل أمي هكذا، إذن ماذا سيحل بي مع أبي؟ فقمت فورا بالاتصال به لكن خطه مغلق، فعاودت الاتصال بمكتبه لتعلمني سكرتيرته أنه خارج المدينة في رحلة عمل، وهنا حمدت الله على ذلك، فيكفيني حاليا مواجهة أمي، ومع انشغالاتي مع مشكلتي، نسيت أن أتصل باهلي بالوطن ، فاتصلت أولا مع أمي وبررت تاخري في الاتصال بانني كنت مرهقة من طول السفر، لكن عندما اتصلت ببيت جدي أبو برار، لم أتوقع أن يرد على مكالمتي من المرة الاولى، يبدو أنه كان ينتظر اتصالي وبدت نبرة معاتبته لي في صوته على عدم اكتراثي لامرهم وأنني نسيتهم ما إن وصلت إلى لندن لكن في نهاية الاتصال برر معاتبته تلك بانه كان خائفا علي من أي مكروه قد يكون حصل، شكرته على اهتمامه ووعدته بمعاودة الاتصال، وما إن انهى الاتصال ، عدت إلى ارض الواقع، الواقع الذي أنتظر فيه قدري مع أمي، وهاهي أمي تدخل تستشيط غضبا، حتى كلماتي الدافئة لم تستطع التسلل إلى قلبها ليهدئها، لتنظر إلي نظرة تفحص لتقول:

يبدوا أنهم غسلوا دماغك....

– غسلوا دماغي؟؟؟؟......من يا أمي؟

– لا تدعي الغباء يا ليليان، المهم لن أطيل معك النقاش، صلي ، صومي ، افعلي أي شيء لكن فقط داخل هذا المنزل، أما الحجاب فانسي أمره، لن أسمح لك أن تضعيه.

_لكن.....أمي..... أبا قررت ارتداء الحجاب بمحض إرادتي..... وقد قطعت وعدا لجدي بأن لا أبرعه.

صرخت أمي في وجهي قائلة : ليليان لا تجادليني أكثر من هذا، قلت لا يعني لا. وصعدت إلى غرفتي لتقوم بتفريغ حقيبتي التي كانت تحوي ملابسي التي اشتريتها والمجصصة بالمحجبات وقامت تحاول تمزيقهم، حاولت أن امنعها لكنني لم استطع، فقط انتشلت من بين يديها حجابا واحدا، كنت أسحبه من بين يديها ودموعي تسيل على خدي، متسائلة لماذا تفعل أمي هكذا بي بدون مبرر، ألا يكفيني الالم الذي عشته هناك، ألم تنتهي معاناتي بعد؟ وأدركت في تلك اللحظات أن الحياة التي كنت أعيشها وهم في وهم، وتملكني غضب تجاه أمي لم أشعر به من قبل، حاولت إخفائه لكن لا جدوى، فصرخت في أمي: لا أحد يمنعني من اتخاذي قراراتي وأنا قررت أن أكون مسلمة حقيقية لا أقولا بل أفعال، ألست يا أمي بمسلمة؟ لماذا أنت وأبي تنكران ذلك؟ لماذا تحاولون تقليد غيركم؟ لماذا لا تكونوا أنتم القدوة، بهاته الكلمات أعلنت تمردي وعصياني على أمي بل حتى أبي، أو أي شخص يعترض طريقي. تركت أمي مذهولة وكأنها تحت وقع المجدر فهي لم تتوقع مني هكذا تصرف، حتى أنا لا أدري من أين أتيت بمثل تلك الشجاعة لأقول لها مثل ذلك الكلام ومن ثمة جمعت ما هو ضروري من أغراضي وخرجت، خرجت مرة أخرى لأترك القدر يختار وجهتي، لكن بمن سأحتمي هذه المرة، فالمرة السابقة عندما كنت في الوطن كان أخي مصطفى سندا لي، لكن هذه المرة من منقذي؟.

مشيت شوارع المدينة على الاقدام ولم أحس بالتعب، فقط عقلي هو المرهق، بدأت الوحشة والوحدة تتسللان إلى قلبي، أليس هذا المكان الذي عشت فيه طفولتي ومراهقتي؟ إذن ما لذي تغير حتى أصبح بهاته الظلمة؟. جلست في إحدى الحدائق العامة لأحقق

مشاعر الناس بحوي، نظرات غريبة تتملقني من خلال عيون المارة، لم يجلس أحد المارة في تلك الحديقة إلا ولفت انتباهه ثم ليرمقني بنظرة ازدراء، وهنا كاد عقلي أن يطير، ما هذا التغير الذي طرأ على حي الجميع يرفضني؟ لكنني حاولت يمالك نفسي لإستطيع البحث لإجد حلا لمشكلتي وهنا تذكرت صديقتي جولي ، كيف لي أن أنساها سأتصل بها لعلي أجد عندها عزائي، لكن عندما أردت الاتصال لاح لي آخر رقم قمت بمهاتفته إنه رقم الجاص ببيت جدي، وارتسمت على شفاهي ابتسامة.....سأتصل بجدي لإخبره بالامر.

أجابت حنين على اتصالي فتحادثنا بعض الوقت ثم سألها عن جدي لتخبرني أنه كالعادة في غرفته، طلبت منها بان يخبره أنني أريد التحدث معه، فلبت حنين طلبي على الفور، انتظرت لحظات ليرفع السماعة من جديد ليكلمني جدي قائلا: السلام عليكم ليليان، كيف حالك يا ابنتي؟هل هناك شيء تودين إخباري به؟

–وعليكم السلام جدي، أبا بخير،لكن في الحقيقة......يبدوا أنني سأتعبك معي.....

وبدا الارتباك واضحا في كلماتي حتى قال لي: تكلمي بدون إحراج أبا أستمع إليك.

– لا أدري من أين أبدأ والى أين أنتهي.......

وبدأت أقص عليه ما جرى معي منذ وصولي الديار هذا الصباح ، كان هو في الطرف الاخر يستمع إلي فقط بتأن، لكنه فاجأني بقوله أن لا أخاف وأنه سيعاود الاتصال بي مرة أخرى، وسيحل الامر فما علي فعله فقط هو الصبر ......والان ارتفعت معنوياتي من جديد فمن الجميل أن أجد جدي سندا لي في هذه المحنه، ثم قمت بالاتصال بجولي لاطلب المبيت عندها ووافقت على الفور دون أن تسألني على السبب.....الحمد لله، وجدت على الاقل مكان ألجأ إليه لإلملم شتات أفكاري.

استقبلتني جولي ووالديها بجفاوة يم أبهم لم يسألانني عن سبب هذه الزيارة أو حتى لماذا أرتدي هذا الزي الغريب عنهم، طلبت من جولب ا أنني أود أن أرتاح فهذا اليوم متعب بالنسبة لي، فصعدت إلى الغرفة للنوم، فلم انتظر من أمي أن تتصل وأن أطمئنها عني، فقط استسلمت للنوم فهو الوحيد الذي سيريحني من هموم الدنيا وعذابها.

في الصباح الباكر وردني اتصال لكن الرقم ليس مدون على هاتفي أيعقل أن تكون أمي أو أبي؟ ما إن همت بالرد على المكالمة، حتى فاجأني صوت غريب، يقول: ليليان أبا وجدي في المطار الدولي ننتظرك فنحن لا نعرف المكان هنا، لسماعي هذا الخبر حتى أسرعت بتغيير ملابسي، وشكرت جولي على استضافتها لي، وتوجهت مباشرة إلى المطار بعدما استقلت سيارة أجرة.

استقبلت جدي وغريب في المطار، كان الإرهاق باديا على وجه جدي، يبدوا أنه لم يتوقف عن التفكير في مشكلتي ولا للحظة........يبدوا أنني تسرعت بالاتصال بجدي......كم أبا حمقاء ضعيفة الشخصية تنتظر دوما أحدا أن يساعدها، فاعتذرت فورا من جدي وغريب لانني أقحميهما في مشاكلي، لكن جدي طلب مني عدم التذمر وأن العائله كالجسد الواحد، حتى غريب، أخبرني سرا أن هذا اللقاء قد يعود بالنفع على علاقة جدي بابي،....وأبا أيضا هذا ما أرجوه. اعتذرت من غريب لانني استمريت في الكذبة التي بدأيها جدني، فأخبرني أنه ليس بهذا الغباء كي لا يدرك الامر.

توجهنا نحن الثلاثة إلى المنزل بعدما استأجرنا سيارة، وبينما نحن في الطريق، اتصل بي والدي واخبرني أنه عاد من رحلته، وأنه علي العودة فورا إلى المنزل، كانت نبرة الغضب بادية في كلامه، فأخبرته أنني في طريق العودة، وما هي إلا نصف ساعة حتى وصلنا،

يرددت في طرق الباب خوفا مما سيحدث إذا فتح، فأبا أخيى على جدي فهو مسن وقد يتعرض لنوبة قلبية جراء مشاحنات مع أبي، لكن لا مجال للانسحاب، وما سيحدث سيحدث فلا مجال للهروب من القدر.

فتح الباب وتشابكت النظرات، لأرى أمي تسمرت في مكانها، فهي لم تتوقع أن يكون معي أحد، وأي أحد، زائر من العيار الثقيل لتتدارك موقفها وتقول: عمي أبو برار؟ هذه مفاجأة.

_ "هكذا تستقبلون المفاجآت.....بيركهم يقفون أمام الباب بدون يرحيب".....قالها جدي بيهكم واسيهزاء

_ "عفوا....أبا آسفة تفضلوا"

دخل جدي وغريب المنزل، لتقوم أمي بدعويهم لراحة في الصاله بينما ستنادي لأبي.

أمرتني أمي بنظرايها أن أتبعها، استأذنيهم ولحقت بها، كان وجهها شاحبا يبدو أنها أرهقها التفكير، لم تكلمني ولا كلمة يكفييي عيناها التي رموني بوابل من كلمات العتاب.....دخلت معها مكتب أبي.....بدأ الحديث معي مباشرة : – هل قصرنا معك بييء يا ابنتي؟ – هل طلبتي منا طلب ولم نلبيه لكِ؟

حاولت أن أجمع بعض الكلمات التي بدأت يهرب لأقول: – أستغفر الله، أبا أعرف كم أبا غالية على قلوبكم ولو تعرفون مدى حبي لكم؟، أنيم تعرفون أبي أفديكم بروحي لست أنسى أنكم أهلي ولست بجاحدة للمعروف.......لكن الإسلام والحجاب قصة يانية......كيف سمحيم لحالكم أن يحرموا أنفسكم من نعمة الإسلام و كيف حرمتموني منها؟.......بالمال نشيري الدنيا وبالإيمان بالدين نشيري الآخرة.... أبا ما طلبت منكم المستحيل فقط طلبت منكم أن

تسمحوا لي بممارسة شعائر ديني بأكمل وجه...... وأنا آسفة لانني اتصلت بجدي وطلبت منه الحضور....لكن كنت ......قطع أبي كلامي: – اتصلت بابي؟ و هنا أخبرته أمي أن جدي في الصاله ينتظرنا. وقع الخبر كالصاعقة على رأس أبي فهو ليس مستعد إطلاقا لمثل هذا اللقاء..... يبدوا أنني وضعت أبي في موقف لا يحسد عليه. حاول أبي لململت نفسه وأن يستجمع ولو القليل من طاقته لمواجهة جدي..... اتجهنا إلى الصاله وقلوبنا تتوجس ما الذي سيحدث.

التقيا...سنة، سنتان، ثلاثة.. بل أكثر من عشر سنوات مرت، تغيرت الملامح والنظرات ....ساد الصمت لدقائق في الصاله ليقول جدي: – يبدوا أننا أثقلنا عليكم بزيارتنا.

_ كيف تقول هذا، أنت أبي ، أنت الغالي..... قال أبي هذه العبارة على الاغلب صادقا، من قلبه.

– الان بعد كل هذه السنين، تذكرت أنني والدك......المهم لم آتي إليك هنا لاناقش معك موضوع الابوة، لكنني هنا من أجل ليليان، لا يهم أي دين أو أي مذهب اعتنقت أنت و زوجتك، لكن أن تجبر البنت على أن تتعايش مع تفاهتكم فهذا مرفوض.

كانت نظرات ابي وامي موجهة الي ....يتساءلون أ لهذا الحد اصبحوا لا يعنون لي شيء

....قمت بطأطأة رأسي خجلا ... لانني لم اكن اود ان تؤول الامور الى ما عليها الان ....

الخاتمة

منذ نعومة اظافري او بالاحرى منذ ان اصبحت واعية ومدركة للامور التي تجري من حولي .... لم اتوقع يوما انني سأبتعد عن امي لمياء وابي علي ....كابا كل شيء املك .....لكن القدر شاء ان يختار لي طريقا اخر ....وفي الحقيقة اخيرته بملىء ارادتي..... رغم انني كنت حزينة لانني ابتعدت عن عائلتي التي كانت عزائي في الذي كنت في امس الحاجة عليهم .....

عودتنا القصص ان النهاية غالبا ما تكون سعيدة .....السعادة التي لا تؤذي احد .....وستكون سعادة الى ابعد حد .....

اما الواقع شيء مختلف ...... ان تقف في مفيرق طرق ويختار اي الطريق التي ستسير عليهاا ....ليس بالامر السهل .... خاصة وان كان على حساب مشاعر غيرنا ....

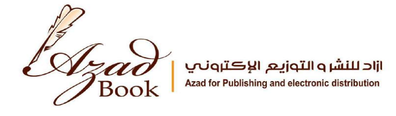
ابتعدت عن ....امي ....ابي.....جولي...جامعتي....لندن وشوارعها......جميعهم لم يحيرموا رغبتي في ان اكون مسلمة بما تعنيه الكلمة ......خُيرت بينهم و بين الاسلام ....فما كان عليا الا ان استجيب لنداء الاسلام ......

عدت الى جزائر .....واحيراما لمشاعري امي لمياء ....لم استقر بين عائلتي الحقيقية ، رغم الحاحهم علي ....اخيرت منزل جدي ابو برار لاتمم حياتي هناك ......لا ادري الى متى؟ ....فأنا اعتدت سير طريق القدر ......وطالما انني أومن بالله ....سأرضى بما سيختاره لي كنهاية

جل ما اتمناه هو ان يجتمع شملي من جديد مع امي لمياء وابي علي ....في ما يرضى الله

سأنتظر ذلك اليوم على احر من الجمر.....فلعل ذلك اليوم بقريب .

النهاية



تمت بحمد الله

